"السودان الجديد"

تحولات السياسة والمجتمع والدين

مصطفى زهران

TIGA BRIEFING 2020/8

TIGA
TURKISH CENTER FOR
GLOBAL AND AREA STUDIES

NECMETTIN ERBAKAN UNIVERSITY
TIGA
TURKISH CENTER FOR GLOBAL AND AREA STUDIES

Mustafa ZAHRAN

Turkish Center for Global and Area Studies (TIGA)
Necmettin Erbakan University
Yaka Mah. Kasım Halife Sk. No:11/B
Meram-Konya/TURKEY
Tel: +90 (0)332 221 05 00
E-Mail: info@tiga.erbakan.edu.tr
İnternet: www.erbakan.edu.tr/tiga

Editorial Board
Dr. Gökhan BOZBAŞ
Dr. Şeyma AKIN

Graphic & Design Team
Büşra UYAR
Muhammed Sami TEKİN
Mustafa ALTINTEPE

e-ISBN
978-605-7019-20-2

Bu eser Creative Commons Atıf-GayriTicari 4.0 Uluslararası Lisansı ile lisanslanmıştır.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

Attribution
You may cite the work as follows.

MLA
زهران، مصطفى. " السودان الجديد' وتحولات السياسية والمجتمع والدين "
TIGA Briefing 8 (2020)

APA
زهران، م. (2020). السودان الجديد وتحولات السياسية، والمجتمع والدين
TIGA Briefing 8

ISO 690
زهران، م. السودان الجديد وتحولات السياسية والمجتمع والدين،
TIGA Briefing، 2020، 4

No Derivative Works
You may not alter, transform, or build upon this work.

Notice
For any reuse or distribution, you must make clear to others the licence terms of this work. The best way to do this is with a link to this web page: www.erbakan.edu.tr/tiga

Published and printed by
NEU PRESS

المحتوى

مصطفى زهران - باحث غير مقيم في TIGA

تحولات السياسة والمجتمع والدين 1
الشرعية و السلطة 2
البشير.. الدين في خدمة السلطة 3
أولا: الدين و الشرعية في السودان الجديد 4
ثانيا: الغاء عقوبة الردة و عهد جديد لمسيحي السودان 6
ثالثا: التحولات المجتمعية و المرأة الجديدة في السودان 8
رابعا: الإسلام السياسي في واقع مضطرب 9
الخلاصة 10
الهوامش 11
عن الكاتب 17

«السودان الجديد»
تحولات السياسة والمجتمع والدين

«السودان الجديد»
تحولات السياسة والمجتمع والدين

مصطفى زهران - باحث غير مقيم في TIGA

تمهيد

منذ اندلاع حركة الاحتجاجات الشعبية في السودان مطلع عام 2018م وما أعقبها من الإطاحة بالرئيس السوداني عمر البشير، وتعايش الدولة السودانية جملة من التحولات السياسية والمجتمعية الدينية والثقافية، دفعت بها إلى مشارف مرحلة مغايرة عن سابقاتها، تتراجع فيها الإسلامية المحافظة بنزعتها الأيديولوجية مع الحفاظ على التقليدية منها، في صالح تدحرج ليبرالي بنكهة تحررية تعززه السلطة الجديدة التي تشكلت من جنرالات العسكر ورفقائهم من التيار المدني العلماني.

إذ سارعت السلطة التي جاءت عقب الإطاحة بالبشير نحو تعزيز دور السودان «الجديد» في قلب الخارطة الإقليمية والدولية، من خلال وضع عدة قضايا على رأس قائمة أولوياتها الرامية، لفك عزلتها وإزالة العقبات التي حالت دون تفعيل دورها كمؤثر سياسي «فاعل» في محيطها المحلي والإقليمي نتيجة المسار أضحت التحولات الحادثة على مستويات عدة السياسية منها والهوياتية فضلا عن الدينية في "السودان الجديد" مثار نقاش وجدل كبيرين، خاصة بعد الرغبة من لدن السلطة الجديدة التي تشكلت عقب الإطاحة بالبشير في طي صفحته وما تعلق بها من أفكار ورؤى وسياسات التفت يوما ما بالمشهدين السياسي والمجتمعي من حوله،لقد بات الحديث عن تغير جذري في مسائل وتمظهرات، كانت إلى وقت قريب يتم التعامل معها على كونها مسلمات وبديهيات لا يمكن القفز عليها أو تجاوزها أمر طبيعي اعتاد عليه المواطن السوداني منذ اعتلاء هذه السلطة -الجديدة- سدة الحكم.

وتمثل هذه المقالة محاولة جادة لتسليط الضوء على تلك القضايا والإشكالات، مع رصد هذه التحولات وانعكاساتها على واقع ومستقبل السودان الجديد، ما بعد البشر.

الشريعة والسلطة

منذ استقلال السودان عن بريطانيا عام 1956وتوالت عليه حكومات عسكرية، ففي 25 مايو عام 1969 قام جعفر النميري وكان ضابطا بالجيش السوداني آنذاك بانقلاب عسكري، تسلّم على إثره زمام الحكم، إلا أن محطات حكمه شهدت تغيرات كبيرة، ففي الوقت الذي سعى في باكورته أن يسير وفق منهج يحترم إرادة الشعب السوداني إلى أن انتهج في السنوات الأخيرة من حكمه سياسات قمعية عجلت بطي صفحته وعجلت بنهايته(1)

ساهمت علاقات النميري الجيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية في تثبيت أواصر حكمه وتلقيه الدعم اللازم لمواصلة بقائه في السلطة، وفي ذات الوقت كانت تجمعه علاقات طيبة بدول الجوار خاصة مصر، إذ كان دائم الود مع نظيره المصري آنذاك محمد أنور السادات، حتى في خضم العلاقات العربية المتعثر على هامش اتفاقية السلام مع إسرائيل وقف النميري جنبا إلى جنب مع السادات، ولم يقطع علاقته بها بل وكان على رأس الحضور في جنازته عقب اغتياله عام 1981م.(2)

وفي محاولة لمواكبة التطورات التي كانت تعايشها المنطقة من ظهور حركات الإسلام السياسي وتمدد التيار الوهابي، فيما عرف آنذاك بتيار الصحوة الإسلامية في الشرق الأوسط والخليج وانعكاس ذلك كله على السودان اللصيق الأقرب لكل هذه التجارب، أعلن النميري عام 1983 عن تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد في ظل معارضة ناشئة، تمثلت قياداتها في كل من صادق المهدي، وحسن الترابي نجح في كبح جماحها، إلا أنه لم يتمكن من إنقاذ نفسه من العسكر أنفسهم، حيث أطاح به مجموعة من الضباط بينما كان في زيارة في الولايات المتحدة.(3)

وبعد سنوات قليلة وصل عمر البشير على السلطة عبر انقلاب عسكري هو الآخر وتحديدًا في 30 يونيو عام 1989 وفي تلك الأثناء لعبت الأيديولوجي الذي سلكه النظام السابق تحت لافتة الحكم الإسلامي التي ساهمت بقدر كبير في استعداء محيطها الجغرافي ودول الجوار، فضلا عن المجتمع الدولي، فسارعت نحو إعادة تموضع المرأة والانفتاح الثقافي ومحاربة الإرهاب وتقليم أظافر الإسلام السياسي وما شابه، فضلا عن أرضية القبول على الانفتاح نحو العالم الغربي خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل،وفق رؤية خاصة سنجملها بالتفصيل لاحقا.

وتسعى الدراسة نحو رصد تحولات الهوية والدين والسياسة عقب الإطاحة بالبشير وما تعايشه الدولة السودانية، ولا زالت، منذ مجيء السلطة الحالية واعتلائها سدة السلطة، وانعكاسات ذلك على الواقع السياسي والمجتمعي الراهن، التي جاءت مغايرة بشكل كبير عما كانت عليه في العقود السابقة خاصة فترة حكم عمر البشير، والانطلاق من مخرجات هذه المقارنة نحو استشراف مستقبل السودان الجديد على كل الأصعدة السياسية والمجتمعية الدينية والثقافية.

> تمثل التحولات الحادثة على مستويات عدة السياسية منها والهوياتية فضلا عن الدينية منها في "السودان الجديد" مثار نقاش وجدل كبيرين ، خاصة بعد الانفتاح الذى أبدته السلطة الجديدة التي تشكلت عقب الإطاحة بالبشير نحو طى صفحة وماتعلق بها من أفكار ورؤي وسياسات تلتف بالمشهدين السياسي والمجتمعى من حوله ،لقد بات الحديث عن تغير جذري في مسائل وتمظهرات كانت إلى وقت قريب يتم التعامل معها على كونها مسلمات وبديهيات لايمكن القفز عليها أو تجاوزها ، في هذه المقالة محاولة جادة لتسليط الضوء على تلك القضايا والإشكالات ، مع رصد هذه التحولات وانعكاساتها على واقع ومستقبل السودان الجديد..مابعد البشير .

الأيديولوجي للإسلاميين، واعتبره البعض إيذانا بتراجع الإسلام السياسي بالسودان وأفوله.(6) أضحى رفقاء البشير بالأمس، أعداء اليوم بعد أن أطاحوا به في أبريل 2019 إذ انقلب عليه من قبل المنظومة نفسها التي شاركها سابقًا في انقلابه وعمل معها وتعرّض للانتقاد معها كذلك، والآن يتم وضع حجر الأساس لنسخة جديدة من الحكم العسكري(7)

اللافت في المشهد السوداني السياسي على متوالية العقود الفائتة أن حكامه انتهجوا منذ وصولهم إلى السلطة عبر الانقلابات العسكرية إرساء أطر إسلامية ذات صبغة محافظة وأيديولوجية، ولعل فرض الرئيس جعفر النميري للشريعة الإسلامية عام1983 مثالا دالا على ذلك(8) وسار البشير حينما وصل إلى السلطة على سلفه النميري في انقلاب عام 1989، حيث عمل بالتنسيق مع القيادي الإسلامي «الإخواني» حسن الترابي- الذي تلقى تعليمه في جامعة السوربون- على إضفاء الطابع المؤسسي على الشريعة.(9) ونجح البشير عبر توظيف مزج الدين بالسلطة في قمع الكثير من الحركات والأفراد والتيارات وعلى الحركة الإسلامية السودانية دورا في تثبيت دعائم حكم البشير في بدايات حكمه وتحديدا الدور الذي قام به حسن الترابي ومنظومته السياسية الإسلامية التي كان يترأسها، لكن سرعان ما انقلب عليه بعد فترة من الوقت، وحدث تنازع بين كلّ من البشير والترابي في أحقية تمثيل كل منهما الإسلام السوداني، وحتى وفاة الترابي عام 2016 كان تحت الإقامة الجبرية نوعًا ما أي تحت نظر البشير، بعد أن تعرض للاعتقال ومن ثم قيّدت حركته.(4)

البشير.. الدين في خدمة السلطة

قامت الجبهة الإسلامية الوطنية الوجه السياسي للحركة الإسلامية –أعيد تسميتها فيما بعد بحزب المؤتمر الوطني- بانقلاب أفضى إلى وصول البشير إلى السلطة في يونيو 1989 (5) بعد أكثر من ثلاثة عقود وفي ديسمبر 2018اندلعت احتجاجات مطالبة بسقوط البشير إلى أن تمت الإطاحة به في أبريل 2019، وبذلك انتهى حكم حزب المؤتمر الوطني الإسلامي ثم تم حله الذي كان مطلبًا رئيسيًا في لحظة الاحتجاج الشعبي عد هزيمة للمشروع

(12)المهم أن الشريعة تحولت إلى سلاح بيد السياسيين يكسبون من ورائه رضا الشعب السوداني وتعاطفه. ولكن هذا المشهد لم يدم طويلا خاصة بعد أن بات ينظر للبشير على كونه ديكتاتورا تم الإطاحة به(13)

وأسفرت المرحلة التي تلت الإطاحة بالبشير عن مجموعة من التحولات الهامة التي جعلت السودان على مشارف مشهد سياسي ومجتمعي وديني وثقافي مغاير لحد كبير عن سابقه، وإن كان آخذا في التدريج، يمكن الوقوف عليها بقوة من خلال اقتفاء أثرها وتتبع آثارها وسنجملها على النحو التالي:

أولا: الدين والشريعة في السودان الجديد

يمكننا القول إن تطبيق الشريعة الإسلامية في عهد البشير قد تم على نحو عشوائي وغير متسق مع سياقاته السياسية والمجتمعية آنذاك، رغم كونها المبدأ الرئيس والتوجيهي للدستور الذي قامت عليه دولة السودان (14) وأسند مهمة تدوين الشريعة في النظام القانوني السوداني إلى الشيخ حسن الترابي عام 1983 الأمر الذي جعل من الخرطوم قبلة لإسلاميي المشرق

> اضحت التحولات الحادثة على مستويات عدة السياسية منها والهوياتية فضلا عن الدينية في "السودان الجديد" مثار نقاش وجدل كبيرين ، خاصة بعد الرغبة من لدن السلطة الجديدة التي تشكلت عقب الإطاحة بالبشير في طي صفحتة وماتعلق بها من أفكار ورؤي وسياسات إلتفت يوما ما بالمشهدين السياسي والمجتمعي من حوله ،لقد بات الحديث عن تغير جذري في مسائل وتمظهرات كانت إلى وقت قريب يتم التعامل معها على كونها مسلمات وبديهيات لايمكن القفز عليها أو تجاوزها أمر طبيعي اعتاد عليه المواطن السودانى منذ إعتلاء هذه السلطة -الجديدة- سدة الحكم.

رأسهم بعض الإسلاميين الذين ناصبوه العداء وعلى رأسهم الترابي أيضا.

ولعب الترابي دورا هاما في جذب الحركات الإسلامية إلى السودان تحت مباركة السلطة، وأضحت أرضا خصبة لتكاثرها وتمددها حتى أنها آوت التنظيمات الجهادية وخاصة تنظيم القاعدة ومكث الشيخ أسامة بن لادن –زعيم التنظيم السابق –فترة ليست بالقصيرة داخل السودان، إلى أن أدرجتها الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1993 في قائمة الدول الراعية للإرهاب، وفرضت لاحقًا عقوبات اقتصادية خانقة استمرت حتى عام 2017. (10)

مع متوالية السنوات أضحت هوية السودان خليطا من الأفكار الدينية التقليدية المتوارثة في مجتمع محافظ يمثل التأثير الصوفي الطرقي الأبرز في مشهد الحياة المجتمعية الدينية من جهة والأفكار الواردة والمستجلبة من الخليج وشمال أفريقيا وتعتبر مرحلة كل من البشير والترابي المحطة الأبرز في تشكل الهوية الإسلامية السودانية بنحو مغاير عن سابقه، وباتت تتسرب أفكار أخري في بيئة حافظت لفترات طوال على العقلية الطرقية الصوفية، إلا أن الترابي وما يمثله من كونه قامة فكرية جمعت بين علوم الشرق والغرب كان من الطبيعي أن تصطدم أفكاره وأطروحاته مع محاولة توظيف البشير الإسلام الحركي في خدمة تجذير سلطته السياسية وفي عام 1999عندما اندلع صراع على السلطة مع البشير عام 1999، طُرد الترابي من الحكومة وسُجن. شكل لاحقًا حزبًا معارضًا وقضى سنواته الأخيرة كناقد لحاشيته السابقة إلى أن وافته المنية.(11)

ورغم الأحداث الجسام التي عايشت حكم البشير من الحرب في دارفور التي أودت بحياة الآلاف فضلا عن مشهد جنوب السودان والحرب هناك والتي كان يقدمها على كونها فصلا ممتدا من الحرب الصليبية على الإسلام وما شابه كان ملتزما بمسألة توظيف الدين وتطبيق الشريعة.

وبعد أن أطاح الجيش السوداني بالبشير في أبريل ٢٠١٩ وقع المجلس العسكري الانتقالي وائتلاف المعارضة، المعروف باسم قوى الحرية والتغيير (FFC)، على اتفاق أفضى إلى إعلان دستوري مؤقت حذف بشكل ملحوظ الإشارة إلى الشريعة كمصدر أساسي للتشريع، كما كان الحال في ظل دستور 2005 السابق (17)

أعقبه اتفاق جوبا بين الحكومة السودانية والجماعات المسلحة من منطقتي دارفور وجنوب كردفان بين نائب رئيس المجلس السيادي السوداني، والحكومة المؤقتة، محمد حمدان دقلو، وممثلي الجبهة الثورية السودانية، الذي أكد على مبدأ «فصل الدين عن الدولة» والتي نظرت اللجنة الأمريكية للحرية الدينية الدولية (USCIRF) إلى مخرجاته على كونها انتصارا لحماية حقوق جميع السودانيين في ممارسة دينهم الذي يختارونه(18) من خلال إلغاء الإسلام كدين رسمي للسودان حيث نصت الوثيقة على أنه لا يجوز للدولة إقامة دين رسمي، ولا يجوز التمييز ضد أي مواطن على أساس دينه «.(19)

والمغرب على حد سواء، بعد أن أضحت مركزا إسلاميا عتيدا، وعلى إثره تمت دعوة كافة الشخصيات السياسية الإسلامية البارزة في ذلك الوقت من بينهم «راشد الغنوشي «ممثلاً عن الإسلامية الحركية والشيخ «أسامة بن لادن «والذي كان يعبر عن توجه إسلامي سلفي ينزع نحو الردكلة في أطواره التكوينية الأولى، ما جعله يتخذ من السودان مقر له في تسعينيات القرن الماضي نظرا للظرفية المواتية لذلك آنذاك.(15)

بيد أن حالة الود التي جمعت البشير والترابي لم تدم طويلا وشكّل الترابي حزبه المعارض «حزب المؤتمر الشعبي» ولم تستمر معارضته وقتا طويلا وتراجعا في السنوات الأخيرة التي سبقت سقوط البشير، ويمكن القول إنهم ظلوا على الحياد أحيانا ومتعانقين معه -باعتبار أن مصائرهم معه- أحايين أخرى وهي الإشكالية التي دفعت بأن يحاسبهم الشارع السوداني جميعهم دفعة واحدة، خاصة وأنهم ظلوا بعيدين مع احتجاجات الشوارع في عام 2013 وظلوا جزءًا من الائتلاف الحاكم حتى الإطاحة بالبشير (16)

على مدار أكثر من أربعة عقود مضت، فإن كانت السلطة السياسية التي تخلقت بعد الإطاحة بالبشير لديها القدرة على إتمام ذلك، إلا أنها تفتقر بقدر كبير إلى إقناع المجتمع السوداني بالقبول الطوعي بهذه المتغيرات دفعة واحدة.

إذ إنهم في معظمهم متدينون متمسكون بالتقاليد، وإن كانوا يعانون من أوضاع اقتصادية صعبة. لقد تحولت الآن الشريعة التي طالما استخدمها العسكر من أجل إضفاء الشريعة على منظومتهم وكسب الشعب أو تطويعه، إلى أداة أيضا، لكن من أجل رفع العقوبات الأمريكية عن السودان.(22)من خلال إلغائها لكسب تأييد المجتمع الدولي ورضائه عنه. ففي آخر الاستطلاعات أن 70٪ من الشعب السوداني يعتقدون أن الشريعة يجب أن تكون مصدر القوانين.(23)، ما يعني أن علمنة الدولة السودانية أمر شديد التعقيد والخطورة في آن معا.

ثانيا: إلغاء عقوبة الردة وعهد جديد لـ»مسيحيي السودان»

يبلغ عدد سكان السودان 45 مليون نسمة، 91 بالمئة منهم مسلمون و6 بالمئة مسيحيون. (24) وتفيد الحكومة بوجود 36 طائفة مسيحية في البلاد وبشكل أساسي في المدن الكبرى، مثل الخرطوم وبورتسودان وكسلا والقضارف والأبيض والفاشر، كما يتركز المسيحيون في

الأمر الذي دفع بعض القوى الإسلامية إلى استشعار بأن ثمة خطرا يحدق على مستقبل الدين والشريعة في السودان ما دفع بعض الأحزاب الإسلامية تحت مظلة نصرة الشريعة إلى القيام بعدة احتجاجات مناهضة لتغييب الشريعة وإقصاء الدين في المشهد المجتمعي والسياسي بالبلاد في رسالة منهم إلى القوى الليبرالية التي توسدت السلطة أن هناك أصواتا معارضة لخطواتهم تلك «.(20) كان من الطبيعي أن تسارع القيادة الأمنية الجديدة إلى الحؤول دون توسع هذه الاحتجاجات من هذا النوع وعلى أثره تم منع الداعية «عبد الحي يوسف» لعقد حشد خاص به دعا إلى دعم الشريعة. ما عكس بشكل كبير على تراجع كبير لنفوذ الإسلاميين في السودان بشكل لم يسبق له مثيل (21) وهو ما سنعرضه لاحقا.

هناك من يرى أنه على الرغم من الخطوات الحثيثة والمسارات المتبعة لتحييد الشريعة وفصل الدين عن الدولة في السودان الجديد، إلا أن الواقع المجتمعي السوداني يختلف عن نظرائه في بعض المجتمعات العربية والإسلامية والأفريقية الأخرى لكون الدين متجذرا في بنيته الفكرية والعقائدية مجتمعيا لحد كبير ابتداء من خلال التاريخ الكبير والعريض للتأثير الصوفي الطرقي القائم هناك، حتى اللحظة من جهة، ووجود القوى الإسلامية السياسية والحركية

رفضا كبيرا من قبل السلطة وبشكل روتيني. لأكثر من 30 عامًا حيث رفضت الحكومة منح الإذن لبناء كنائس رومانية كاثوليكية في المناطق الواقعة تحت سيطرتها.)(28) ويمكن النظر إلى انفصال جنوب السودان عام 2011 باعتباره أحد مخرجات أزمة السلطة مع الأقليات الدينية في الداخل السوداني. (29)

واستخدم نظام البشير دعواته لـ»الجهاد»، لتعبئة الرأي العام الإسلامي في الشمال لدعم المجهود الحربي ضد الجنوب –قبيل انفصاله- ما نتج عنه في تلك الفترة انتهاكات مروعة لحقوق الإنسان ارتكبتها قوات الأمن الحكومية والميليشيات المدعومة من الحكومة.(30)

إلا أن هذا المشهد لم يدم طويلا وانقلبت الأمور رأسا على عقب بعد الإطاحة بالبشير، وجاءت وثيقة جوبا لتحدد ملامح المرحلة الجديدة للأقليات الدينية في السودان بعد أن أعلنت الحكومة إلغاء عقوبة الإعدام على جريمة الردة، وأزالت الإسلام كدين للدولة، واللافت أنه من بين البروتوكولات التي تضمنتها وثيقة جوبا، إنشاء لجنة للحرية الدينية تضمن حقوق الطوائف المسيحية في المناطق الجنوبية من السودان(31)

وعلى هامش التحولات والمتغيرات التي شهدتها قضية الأقليات وخاصة المسيحية منها في السودان أوصت المفوضية الحكومة الأمريكية بأن تكون المؤسسات الوطنية مثل الجيش، وإنفاذ القانون وأعلى مستوى من القضاء مؤسسات علمانية تقوم على السماح لجميع الجماعات الدينية بممارسة أنشطتها بحرية خاصة في مسائل دور العبادة دون تأخير أو مضايقة وإلغاء أي قوانين تعاقب على تغيير عقيدة المرء أو تشجيعه على القيام بذلك (32)

وما يدلل على حجم المتغيرات الحادثة في هذا الملف، إذ إنه حينما تم تدشين مجلس السيادة وهو أحد الهيئتين الحاكمتين اللتين أُنشئتا بموجب الإعلان الدستوري المؤقت. الهيئة الحاكمة النهائية، المجلس التشريعي، تم تعيين مسيحي بعض أجزاء جبال النوبة وولاية النيل الأزرق. (25)

ولعب توظيف الدين من قبل السلطة السياسية خلال العقود الفائتة دورا كبيرا في تزكية الصراعات والحروب الأهلية في أكثر من جغرافية داخل السودان منذ ثمانينيات القرن المنصرم، أسفرت في جزء كبير منها عن فصل جنوب السودان عن شماله.

ووصفت اللجنة الأمريكية «الدولية» للحرية الدينية السودان على أنه أكثر المنتهكين عنفاً في العالم للحق في حرية الدين والمعتقد. وذكرت المفوضية أن الحكومة السودانية ارتكبت فظائع إبادة جماعية ضد السكان المدنيين في الجنوب وجبال النوبة في قانون السلام السوداني لعام 2002 وصفت من قبل الكونجرس الأمريكي على كونها بمثابة أعمال إبادة جماعية ارتكبت بأيدي السلطة السياسية.(26)

وعلى الرغم من توصل الحكومة السودانية مع مطلع 2004 إلى اتفاق سلام شامل مع الحركة الشعبية / الجيش الشعبي لتحرير السودان المتمردة آنذاك، إلا أن ذلك لم ينف ما أفادت به بعض التقارير الغربية والمحلية مما أقدمت عليه حكومة السودان من انتهاك بشكل صارم ومنهجي للحرية الدينية للأقليات المتواجدة بالداخل السوداني، سواء كانوا مسيحيين أم من أتباع الديانات الأفريقية التقليدية، فضلا عن المسلمين أنفسهم المنخرطين في جماعات إسلامية تلعب دورا معارضا لسلطة البشير الاستبدادية-حسب وصفهم.(27)

و يعتبر التحول عن الإسلام جريمة يعاقب عليها القانون السوداني باعتبارها «ردة» ورغم محاولات جماعات التبشير المسيحي اختراق المجتمع السوداني، إلا أنها لم تفلح في ذلك نتيجة القوانين الصارمة التي وضعها نظام البشير للحؤول دون ذلك خاصة في مسألة المتحولين دينيا، إذ يخضع المشتبه بهم من المتحولين إلى فحص مكثف من قبل أفراد الأمن الحكوميين، وظلت التصاريح التي تقدم لبناء الكنائس تلقي

مراقبين- تتكاثر على الأرصفة ويقوم روادها بتدخين «الشيشة» التي كانت محظورة سابقا في تلك الأماكن العامة، وأضحى من الطبيعي أن تجد الرجال والنساء جنبا إلى جنب داخل هذه المقاهي في مشهد مألوف وغير مستنكرا. في الوقت الذي تراه العديد من القوى الإسلامية الحركية والتقليدية بأنها مشاهد دخيلة على مجتمع محافظ (38) وإن كانت تشكل ظاهرة في طورها التكويني الأول لم تتمدد على النحو الذي يمكن القول أن توصم به المجتمع العاصمة بأكمله.

وإلى جوار تلك المشاهدات، تأتي المسألة المعارفية المتعلقة بقطاع التعليم من خلال إعادة النظر في منظومته حيث تمت مراجعة المناهج الدراسية في السودان لاستعادة دروس الفلسفة والموسيقى والمسرح لتحل بديلا عن المناهج التي تؤسس أو تتفاعل مع أطروحات الإسلام السياسي وما شابه.

وما يثير الانتباه هو التغير الواضح في قواعد اللباس بعد أن تخلت –وفق مراقبين- بعض النساء السودانيات عن الحجاب مع ارتداء البعض للملابس الكاشفة وهي ملابس وجهت في السابق اتهامات بالفحش العلني، وذلك بعد أن ألغى قانون النظام العام –القديم- الذي رآه أنصار العهد الجديد أنه هدد حرية المرأة في الحركة والملبس، وعلى ضفاف النيل تجد مساحات للنقاش الثقافي والسياسي يشترك فيها الجنسان قد تتخللها في بعض الأوقات جلسات طرب على أنغام الموسيقى(39)

عاشت السودان لعقود في ظل قوانين إسلامية شديدة المحافظة، وحتى وقت قريب كانت شرطة الآداب تجلد النساء علنًا بسبب أشياء صغيرة، مثل ارتداء السراويل/البنطال (40) وتم سن القوانين التي تحظر تشويه الأعضاء التناسلية للإناث إضافة إلى السماح للمرأة بالسفر إلى الخارج السودانية دون الحاجة إلى تصريح من أفراد الأسرة الذكور. (41)

لا شك أن المرأة السودانية قد لعبت دورا قبطي في مجلس السيادة، وحينها صرح رئيس الوزراء المعين «عبد الله حمدوك» أن إدارته ستتصدى لـ»التمييز الديني» أعقبه الإعلان عن الاعتراف بعيد الميلاد (25 ديسمبر) وعيد الميلاد الأرثوذكسي (7 يناير) كعطلات رسمية.(33)

ولم تقف تطورات المشهد عند ذلك الحد، إذ ناشد وزير الشؤون الدينية نصر الدين مفرح اليهود والمسيحيين الذين غادروا البلاد بالعودة، وقال الوزير أن البلاد «تعددية في الفكر والثقافة والعقيدة والدين». وذكر أيضًا أن الحكومة ستعيد الممتلكات المصادرة إلى الكنائس المسيحية، مشيرا إلى أن المسيحيين تعرضوا «للاضطهاد» و»الممارسات السيئة للغاية» خلال الإدارة السابقة.(34)وبينما رحبت الأقلية المسيحية بالتغييرات، وخاصة المتحولين من الإسلام، ومن قبل نشطاء حقوق الإنسان في السودان، فقد دعا الإسلاميون إلى الإطاحة بالحكومة، واصفين الإصلاحات بأنها «حرب على الفضائل».(35)

ثالثا: التحولات المجتمعية والمرأة الجديدة في السودان

المراقب لمشهد الحياة اليومية في السودان الجديد يرصد جملة من المتغيرات الحادثة في كثير من الميادين والشوارع والأزقة داخل الفضاء المجتمعي بشتى تنويعاته وتقسيماته، حتى وقت قريب خاصة في عهد البشير، إذ كان شارب الكحول في العاصمة السودانية «الخرطوم» يتم القبض عليه ومن ثم معاقبته بـ٤٠ جلدة، إلا أن ذلك أصبح مشهدا قديما يصعب استنساخه الآن في السودان الجديد بعد أن ألغت الحكومة تجريم شرب الخمر (36) وسمح ببيع المشروبات الكحولية في بعض الأماكن. (37)

في موازاة ذلك باتت وكأن ثمة حياة جديدة في الحاضرة المجتمعية بالعاصمة الخرطوم التي تتهيأ لمشهد قد يكون مغايرا ومختلفا بشكل كبير، عما اعتاد عليه الناس في الماضي القريب، حيث باتت ظاهرة المقاهي –وفق

ذلك للتطور الفكري الذي عايشه الرجل ونَظر له فعمل على تطوير حزب سياسي إسلامي ينشر الشريعة كمبدأ إرشادي للدولة السودانية، وشهد عقد الستينيات انتصارا للإسلاميين عبر حزبهم السياسي في ذلك الوقت ممثلا في «جبهة العمل الإسلامي» في طرد الحزب الشيوعي السوداني من البرلمان وتحديدا عام 1965 بعد أن اتهم أحد نوابه بالتحدث السيئ عن الرسول. (42) وكانت بمثابة ضربة قاصمة لهم دفعت بهم إلى تجميد أدوارهم السياسية والاجتماعية والثقافية.

وفي عام 1977 دفع صعود الإسلاميين إلى السلطة السياسية إلى تمكينهم في شتى القطاعات والمصالح الحكومية والخدمية بعد مصاهرتهم للسلطة مع الرئيس نميري بعد أن لجأ إلى سياسة التصالح والمواءمة مع جماعات المعارضة بهدف التعاون مع كافة الأحزاب. كان ذلك دافعا إلى أن يتبوأوا مقاعد هامة داخل المنظومة الحكومية بالبلاد وانطلقوا من خلالها نحو التأثير على الفضاء السياسي ككل. وتولي الدكتور حسن الترابي منصب المدعي العام للسودان خلال السنوات الأخيرة من نظام النميري. وانعكس ذلك بقوة في اندفاع النميري نحو أسلمة المجتمع عبر إعلان قوانين الشريعة الإسلامية عام 1983 في السودان.(43)

رغم ذلك، لعب الإسلاميون دورا رئيسا هاما في الإطاحة بالبشير ومثلت إحدى أيقوناته الدالة على دخول السودان مرحلة جديدة، خاصة وأنهن قدن الاحتجاجات في صفوفها الأولى، وليس ذلك وحسب وإنما شاركن الرجال في التخطيط والتنظيم وواجهن الرصاص والتعذيب. ومن نافلة القول الإشارة إلى أن مشاركة المرأة السودانية لم تقتصر على توجه نسوي أوحد، وإنما شملت كافة التوجهات الإسلامية والليبرالية واليسارية والتقليدية الوطنية، ما يعني أنه لا يمكن حصر الدور البارز للمرأة السودانية في الاحتجاجات الأخيرة التي أفضت بإطاحة البشير على أنه يعكس انقلابها على توجهات المرأة السودانية المحافظة، إذ لا يتعلق ذلك تحولات المرأة السودانية بسن القوانين الحكومية التي تهدف إلى توجهات أخرى قد تخدم فصيلا سياسيا بعينه ورؤية أيديولوجية خاصة.

رابعا: الإسلام السياسي في واقع مضطرب

يمكن التأريخ لظهور الإسلام السياسي بالسودان إلى خمسينيات القرن الفائت، وتحديدا إلى عام ٤٥٩١، قبل الاستقلال والتي جاءت انعكاسا لتأثيرات جماعة الإخوان المسلمين المصرية. وكان الشيخ حسن الترابي بمثابة المنظر الرئيسي للحركة الإسلامية، وانطلق نحو بلورة تصور إسلامي قد تفوقت في كثير من الأحيان عن نسخة الإخوان المسلمين المصرية ويرجع

الجيش مرة أخرى بهدف إفساح المجال لهم مجددا كما حدث في الماضي، لقد بدا أن هناك انعدام ثقة جوهري بين الشارع السوداني والمشروع الأيديولوجي للإسلاميين وهو ما يجعلنا نؤكد على أن الإسلاميين في السودان كان الإطاحة بالبشير بالنسبة لهم بمثابة انقلاب على التجربة الإسلامية برمتها. مع التأكيد على أنه لا يعني رفض الشارع لأيديولوجية الإسلاميين بالسودان رغبة في التخلي عن الدين والتجرد منه، إذ إنه سيظل جزءًا لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية في السودان وإنما الرفض موجه لتلاعب السياسيين بالدين وهو ما سيكون معاودته أمرا عسيرا.(48)

الخلاصة

تسعى السلطة السودانية الحالية نحو تدشين عقد سياسي واجتماعي وثقافي جديد، بهدف خلق سودان جديد يختلف عن سابقه على اعتبار أنها جاءت لتلبية مطالب الاحتجاجات الجماهيرية التي خرجت للإطاحة بحكم البشير وبطانته وسدنة حكمه ومشروعه السياسي وكل من تعاون معه ولم تلتفت السلطة في خضم مساعيها تلك، أن الجمهور السوداني الذي شارك فيه هذه الاحتجاجات لم يكن ذا توجه فكري وأيديولوجي وسياسي ومجتمعي واحد، بل كان من مختلف التوجهات السياسية والتنويعات المجتمعية السودانية بما فيهم مجموعات من الإسلاميين الناقمين على حكم البشير.

الأمر الذي أوقعها في إشكالات كبيرة في التعاطي والتفاعل مع الغالبية من الجمهور السوداني المحافظ بطبعه والذي لا يزال يقع «الدين» في قلب توجهاته الفكرية والثقافية لتجذره مجتمعيا من جهة وانعكاسات توظيفه من قبل الحكومات المتعاقبة على مدار العقود الفائتة.

ما يعني أن الإسلام لا يزال حتى اللحظة بمثابة الهوية الجامعة للغالبية المسلمة في المجتمع السوداني، وأن ما تم الانقلاب عليه والثورة على مخرجاته والتي تمثلت في الإطاحة وأساسيا في إسقاط حكم النميري، وكانوا أيضًا جزءًا من الحكومة الانتقالية ما بين ١٩٨٥-1986.(44)وقاموا بتوظيف الفترة الانتقالية في خدمة أهدافهم الرامية نحو التمكين لهم في السلطة ورسم ملامح مستقبل يؤسس لمرحلة تجذير وجودهم السياسي من خلال الاستعداد التام والكامل لخوض الانتخابات بكل قوة، وهو ما تحقق لاحقا من خلال نجاحهم في احتلال المركز الثالث في الانتخابات وشكلوا جزءًا من حكومة ائتلاف الصادق المهدي. وهيأت لهم في ذات الوقت فرصة أخرى لبناء تحالفهم مع الجيش وتعزيزه.(45)

كان الإسلاميون إحدى الأذرع الهامة التي اعتمد عليها البشير في انقلابه عام 1989 الذي أوصله إلى السلطة، ورغم ذلك عايش الطرفان حالة مد وجزر في علاقاتهما مع بعضهما البعض تخللت في كثير منها مواجهات سياسية وصدامات، وبعد عقود دفع إسلاميو السودان ضريبة هذا التآزر والتلاحم مع البشير، إذ نظر لهم المحتجون على كونهم شركاء نظام استبدادي خاصة وأن «غالبية الأحزاب الإسلامية في السودان انحازت إلى البشير حتى اللحظة الأخيرة». (46)

لذا يمكن تفهم سقوط البشير على أنه بمثابة انتكاسة كبيرة للأحزاب الإسلامية السودانية على غرار حزب المؤتمر الشعبي الذي ينتمي إليه الترابي. ما يجعل بعض التحليلات تشير إلى أن الإسلام السياسي في السودان يجعل من مستقبله في السودان الجديد ضبابيا في ظل السلطة السياسية القائمة والجنرالات العسكريين الذين يناصبونهم العداء وخاصة أنهم يحسبونهم على النظام السابق (47)

إن فرص صعود الإسلاميين إلى السلطة مرة أخرى تعتبر ضئيلة ذلك رغم تواجدهم في الجيش والأمن والخدمة بعد أن فقدوا ما يمكن وصفه بـ»التعاطف» في محيطهم الاجتماعي، ولا يمكن التنبؤ بإعادة استنساخ -أي الإسلاميين- تحركاتهم القديمة بالاتجاه نحو التحالف مع

بالبشير، إنما كان بالأساس رفضا لمحاولات توظيفه سياسيا لخدمة أهواء السلطة وأمزجة قياداتها واتكاء عليه لممارسة الاستبداد باسم الدين.

أن معالجة هذه الإشكالية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتأتى من خلال محاولات فرض العلمانية اللائكية التي تناصب الدين العداء من جهة أو التقرب من الغرب، من خلال التخلي عن هوية السودان التي عاشت عليها منذ عقود أو القبول طواعية لرغبة السلطة ومساعيها للتطبيع مع إسرائيل تزلفا للغرب والولايات المتحدة الأمريكية، مواكبة للتحولات القائمة في الخليج وانطلاق قاطرة التطبيع على حساب القضية الفلسطينية، الذي سيكون ارتداداته كبيرة وإن لم تحسب السلطة في السودان انعكاسات ذلك على الواقع السياسي والمجتمعي الداخلي والذي بلا شك قد يفضى بعدم الاستقرار ومزيد من الانقسام الداخلي.

الهوامش

(1)(2)(3)(4)

كلينتش، طه. (2020)، السودان العلمانية، Yeni şafak، استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.yenisafak.com/ar/columns/tahakilinc/2043021?fbclid=IwAR1B9EyoDtC2upT_48i6O4IZiI9kLUw2HuFXCTunklBFHaH-5_Bf8RRsVLM

(6) (5)

popular uprising and the demise of Islamism ،(2019) .Munzoul .A.M. Assal Michelsen Institute .CMI CHR ،Sudan's، استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.cmi.no/publications/7062-sudans-popular-uprising-and-the-demise-of-islamism

(7)

كلينتش، طه. (2020)، السودان العلمانية، Yeni şafak، استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.yenisafak.com/ar/columns/tahakilinc/2043021?fbclid=IwAR1B9EyoDtC2upT_48i6O4IZiI9kLUw2HuFXCTunklBFHaH-5_Bf8RRsVLM

(8)(9)(10)(11)(12)

Revolution Arrives in Bin Laden's Old Neighborhood ،(2019) .Alamin Mohammed Social ،Bloomberg، استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.bloomberg.com/news/features/2019-12-06/sudan-is-staging-a-social-revolution-to-rival-saudi-arabia

(13)

كلينتش، طه. (2020)، السودان العلمانية، Yeni şafak، استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.yenisafak.com/ar/columns/tahakilinc/2043021?fbclid=IwAR1B9EyoDtC2upT_48i6O4IZiI9kLUw2HuFXCTunklBFHaH-5_Bf8RRsVLM

(14)(15)

for the country's Islamisŝt? ،(2019) .Beaumont Peter & Salih, Zeinab Mohammed
The Guardian ،Sudan: waht future ،استرداد في: 0202.21.71، من:

https://www.theguardian.com/world/2019/may/02/sudan-what-future-for-the-countrys-islamists

(16)(17)(18)

،Sudan revomes Islam as state religion ،(2020) ,Evangelical Focus Editorial,
Evangelical Focus Europe ،استرداد في: 17.12.2020، من:

https://evangelicalfocus.com/world/7893/sudan-removes-islam-as-state-religion

(19)

،Islamisŝt Faced with Challenges in Sudan's Transition ،(2019) .Kajjo, Sirwan
VOA News ،استرداد في: 0202.21.71، من:

https://www.voanews.com/extremism-watch/islamists-faced-challenges-sudans-transition

(20)

future for the country's Islamisŝt? ،(2019) .Beaumont Peter & Zeinab Mohammed
The Guardian ،Sudan: waht ،استرداد في: 0202.21.71، من:

https://www.theguardian.com/world/2019/may/02/sudan-what-future-for-the-countrys-islamists

(21)(22)

كلينتش، طه. (2020)، السودان العلمانية، Yeni Şafak، استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.yenisafak.com/ar/columns/tahakilinc/2043021?fbclid=IwAR1B9EyoDtC2upT_48i6O4IZiI9kLUw2HuFXCTunklBFHaH-5_Bf8RRsVLM

(23)

discuss removal from terror list as U.S. pushes closer Israel ties ،(2020) .Reuters
Sudan to ،NBC News ،استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.nbcnews.com/news/mideast/sudan-discuss-removal-terror-list-u-s-pushes-closer-israel-n1240583?utm_source=iterable&utm_medium=email&utm_campaign=1545415_

(24)

council want protesters to back Sharia legal ،(9102) .France 24 & AFP & Reuters
France 24 system Sudan's military ،استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.france24.com/en/20190508-sudan-military-rulers-want-retain-sharia-law-legal-guide

(25)

Agrees with Rebels to Remove Islam as State Religion ،(2020) .Casper, Jason
The Muslim Times Sudan، استرداد في: 17.12.2020، من:

https://themuslimtimes.info/2020/09/07/sudan-agrees-with-rebels-to-remove-islam-as-state-religion/

(26)

Freedom Report: ،(تاريخ ليس متوفر) Office of International Religious Freedom.
U.S. Department of State ،Sudan International Religious استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.state.gov/report/custom/c656f43288/

(27)(28)(29)

Annual Report ،(2020) .States Commission on International Religious Freedom.
States Commission on International Religious Freedom United Sudan: استرداد
في: 17,12,2020، من:

https://www.uscirf.gov/countries-and-issues/africa/countries-particular-concern-sudan

(30)

Christians await reform on teaching Christianity in schools ،(0202) .Vatican News
News Vatican Sudanese، استرداد في: 17,12,2020، من:

https://www.vaticannews.va/en/world/news/2020-07/sudan-amendments-apostasy-christianity-transition.html

(31)

Report ،(2020) .United States Commission on International Religious Freedom.
States Commission on International Religious Freedom United Sudan: Annual،
استرداد في: 17,12,2020، من:

https://www.uscirf.gov/countries-and-issues/africa/countries-particular-concern-sudan

(32)

JOY! News Sudan Removes Islam As State Religion ،(2020) Evangelical Focus.،
استرداد في: 17,12,2020، من:

https://joynews.co.za/sudan-removes-islam-as-state-religion/

(33)

Annual Report ،(2020) States Commission on International Religious Freedom. States Commission on International Religious Freedom United Sudan: ،استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.uscirf.gov/countries-and-issues/africa/countries-particular-concern-sudan

(34)

Freedom Report: ،(تاريخ ليس متوفر) Office of International Religious Freedom. U.S. Department of State Sudan International Religious ،استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.state.gov/report/custom/c656f43288/

(35)

separate religion and state, ending 30 years of Islamic rule ،(2020) Barnabas Fund. Barnabas Fund News Sudan argees to ،استرداد في: 17.12.2020، من:

https://news.barnabasfund.org/Sudan-agrees-to-separate-religion-and-state--ending-30-years-of-Islamic-rule/

(36)

Revolution Arrives in Bin Laden's Old Neighborhood ،(2019) Alamin Mohammed. Bloomberg Social ،استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.bloomberg.com/news/features/2019-12-06/sudan-is-staging-a-social-revolution-to-rival-saudi-arabia

(37)

Separating state and religion: Secular Sudan irks Islamists ،(2020) Nouri Haitham. Ahram Online ،استرداد في: 17.12.2020، من:

http://english.ahram.org.eg/NewsContent/50/1203/379619/AlAhram-Weekly/World/Separating-state-and-religion-Secular-Sudan-irks-I.aspx

(38)(39)

Law, Sudan Examines Women's Role In Society ،(2019) Alamin Mohammed. National Public Radio (NPR) After Decades Of Islamic ،استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.bloomberg.com/news/features/2019-12-06/sudan-is-staging-a-social-revolution-to-rival-saudi-arabia

(40)

Of Islamic Law Sudan Examines Women's Role In Society ،(2019) Peralta Eyder. National Public Radio (NPR) After Decades ،استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.npr.org/2019/05/16/723878736/after-decades-of-conservative-

islamic-laws-sudan-re-examines-women-s-role-in-soc

(41)

Christians await reform on teaching Christianity in schools ،(2020) ،Vatican News. News Vatican Sudanses، استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.vaticannews.va/en/world/news/2020-07/sudan-amendments-apostasy-christianity-transition.html

(42)(43)(44)(45)

Sudan^s popular uprising and the demise of Islamism ،(2019) Munzoul A.M. Assal Michelsen Instıtute CMI CHR.، استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.cmi.no/publications/7062-sudans-popular-uprising-and-the-demise-of-islamism

(46)

News Islamisst Faced with Challenges in Sudan's Transition ،(2019) Kajjo Sirwan. VOA، استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.voanews.com/extremism-watch/islamists-faced-challenges-sudans-transition

(47)

for the country's Islamisst? ،(2019) Beaumont, Peter & Salih Zeinab Mohammed The Guardian Sudan: waht future، استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.theguardian.com/world/2019/may/02/sudan-what-future-for-the-countrys-islamists

(48)

popular uprising and the demise of Islamimsm ،(2019) Munzoul A.M. Assal. Miclehsen Institute CMI CHR. Sudan's، استرداد في: 17.12.2020، من:

https://www.cmi.no/publications/7062-sudans-popular-uprising-and-the-demise-of-islamism

السيرة الذاتية

مصطفى زهران - باحث غير مقيم في TIGA

باحث في الحقل الديني، وكاتب متخصص في التيارات الإسلامية بشقيها السياسي والجهادي، فضلا عن إسهاماته في التصوف الطرقي، شارك في الكثير من المؤتمرات والندوات و الفعاليات الثقافية والحوارية بالمنطقة العربية والإسلامية، من بينها: المؤتمر العالمى للتصوف –العشيرة المحمدية الشاذلية –القاهرة2012- م، ندوة على هامش معرض إيرن الدولي للكتاب – طهران2012-م -مؤتمر المذهبية والسلفية –إسطنبول2013-م ، مؤتمر التصوف العالمى – أورفا، إسطنبول (-2013 2019) ، مؤتمر التيارات الإسلامية في إندونيسيا 2019 ، و دول أخري:المغرب، تونس، المملكة العربية السعودية، وغيرها من المؤتمرات وورش العمل المختلفة .

ومن حيث التأليف والإسهامات البحثية له الكثير من الدراسات والأبحاث المنتشرة بالمراكز الدراسية البحثية المختلفة في أوروبا وتركيا والمغرب العربي ولبنان، فضلاً عن الخليج العربي وإيران وجنوب أسيا، ومن بين هذه المراكز ودور النشر : دار الانتشار العربي – بيروت، مركز الدين والسياسة-المملكة العربية السعودية ، مركز وقف الدراسات الإسلامية – إسطنبول، مركز الدراسات الإسلامية - بالقيروان تونس، مركز المسبار –الخليج، على سبيل المثال لا الحصر .